الجزء الخامس

المعلم

السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٣ ـ جماد اول سنة ١٣٢١

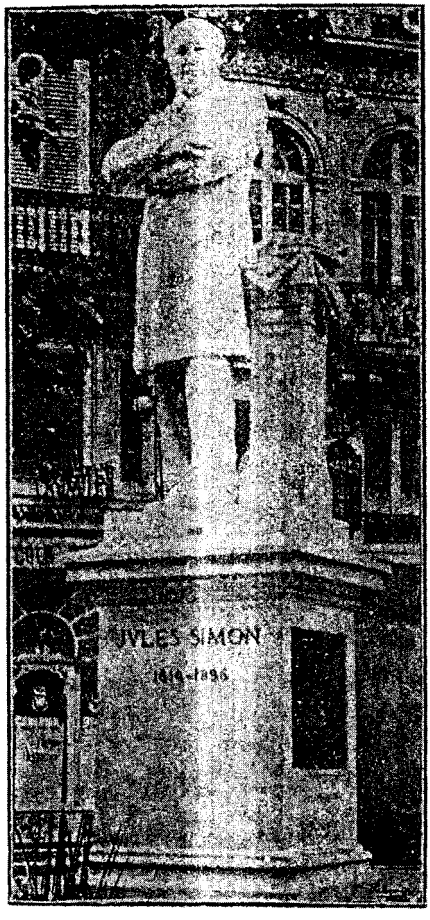

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

الفيلسوف جول سيمون

والاحتفال بنصب تمثاله في باريز في الشهر الماضي

(مثال الرجل الفاضل)

احفروا الترع في البلاد ونظموا الريّ . ابنوا الخزانات العظيمة للنيل . افتحوا للامة ابواب التجارة والصناعة . اعقدوا جمعيات لتدريب الناشئة على الرياضة البدنية اصلاحاً لبنية الامة . انشئوا مدارس كثيرة في كل مدينة وكل قرية لتعلّموا ابناء الامة في هذه المدارس ان الحياة عراك شديد يقوم فيه القوي ويسقط الضعيف فيجب ان يكونوا اقوياء لا ضعفاء غالبين لا مغلوبين احشوا عقولهم بمبادىء العلوم الطبيعية والتاريخية والتجارية . و بعبارة واحدة نقول افتحوا موارد الرزق والثروة والقوة دفعة واحدة للامة لتنال منها ما لم تنله امة قبلها . فماذا تكون النتيجة ؟ واي جنس من البشر يكون لنا في ختام هذا السعي العظيم .

يكون لنا في نهاية هذا السعي بشر آلهتهم بطونهم وجيوبهم . جيل ثقيل شره قاس غايته في هذه الحياة ان يدوس كل شيء تاركاً بدداً لمصلحته ولا مبدأ له غير منفعته . ولعمر الحق ان سكنى الارض خاوية خالية او المعيشة فيها ممتلئة فقط بالحيوانات الطبيعية الفطرية لخير من الاقامة بين جيل كهذا الجيل

وقد ذكرنا هذا التمهيد في هذا الفصل مقدمة لكلام عن الفيلسوف الكريم الذي وقف حياته للنداء بهذه الحقيقة والتصريح بان ادواء الهيئة الاجتماعية الحاضرة لا تشفيها الثروة مهما عظمت ولا دواء لها الا التربية الادبية وانشاء الاخلاق الفاضلة

وهذا الفيلسوف هو « جول سيمون » الذي احتفل الفرنسويون في الشهر الماضي باقامة تمثال له تحت رعاية الحكومة الفرنسوية . فان هذا الرجل الكريم وقف حياته في قومة لتعليمهم المبادىء الابدية و الواجبات والفضيلة والآداب والحرية . وقد علمهم ذلك بقوله وفعله . فانه

وجد نفسه مرتين (١) في حياته بين طريقين . الطريق الواحدة تؤدي الى السلطة والنفوذ والثروة والجاه ولكن يجب ان يدوس من اجلها ضميره . والطريق الثانية ان يحرص على مبادئه ويعمل بما يجب عليه ادبياً وان خسر تلك الخيرات كلها . وغني عن البيان انه اختار الطريق الثانية طريق الضمير والنزاهة الادبية . وبذلك كسر مستقبله كسراً ولولا ذلك لكان الآن معدوداً بين رؤساء الجمهورية ولقدر ان يجمع من المال ما يغنيه عن ان يشتغل ليعيش وهو في الثمانين من عمره (١)

فالذين يحبون خير الامة الشرقية ويرومون انهاضها لا يجدون مثالاً وقدوة لها احسن من هذا المثال . وهذا ما حملنا على تصدير هذا الجزء بترجمة الفيلسوف عدا اننا مديونون له بما اخذناه عنه ودرسناه في كتبه ديناً لا يفيه تقريظ ولا ثناء

﴿ **الاحتفال** ﴾ اما الاحتفال الذي اقيم له في باريز في هذا الشهر فقد رأسه المسيو شوميه وزير المعارف العمومية وحضره اكابر رجال العلم والسياسة والوجاهة مع نجليه الكريمين الدكتور غوستاف سيمون والمسيو شارل سيمون واولادهما . وقد القيت فيه عدة خطب . (الخطبة الاولى) للمسيو فالبير رئيس مجلس الشيوخ (والخطبة الثانية) للمسيو ديفيل رئيس المجلس البلدي (والخطبة الثالثة) للمسيو دي سلف والي باريز (والخطبة الرابعة) للمسيو شوميه وزير المعارف (والخطبة الخامسة) للمسيو بول ديشانل بالنيابة عن الاكاذميه الفرنسوية (والخطبة السادسة) للمسيو جورج بيكو بالنيابة عن مجمع الفنون الادبية والسياسية . (والخطبة السابعة) للمسيو جان دبوي بالنيابة عن نقابة الصحافة . (والخطبة الثامنة) للمسيو مارسل بريفو بالنيابة عن جمعية الادباء

﴿ **التمثال** ﴾ وقد نقش هذا التمثال النقاش دنيس بوش المشهور وقد صنعه من الرخام وهو ثلاثة اقسام القسم الاول وهو اكبرها يمثل (جول سيمون) بحجمه الطبيعي واقفاً على منبر الخطابة ويداه مطويتان على صدره وهي الوقفة التي كان يختارها عند الخطابة . وتحت هذا القسم عن الشمال واليمين قسمان : الاول شخصه جالس الى مائدته وبجانبه عاملة تفتكر وولد يقراء ولقيط يمدّ اليه يده اشارة لصرفه حياته في انقاذ اللقطاء ونشر التعليم وترقية شؤون

« ١ » المرة الاولى احتجاجه على لويس بونابرت لقلبه الجمهورية « الصفحة ٢٦٢ السطر ٢٢ » والمرة الثانية مقاومته حزب الجمهورية نفسه « الصفحة ٢٦٥ السطر ٤ »

« ١ » كان جول سيمون في شيخوخته يشتغل ليعيش فكان يكتب في كل يوم مقالة للجرائد . وفي ذات اليوم الذي توفي فيه نشر مقالة من قلمه في احدى الجرائد

العملة . والثاني يمثله وهو واقف في قاعة السربون ينادي بالاحتجاج على نابليون الثالث لانه قلب الجمهورية واقام الامبراطورية ـ وقد نُصب هذا التمثال في ساحة المادلين في باريز بجانب البيت الذي عاش الفيلسوف فيه نحو ٥٠ سنة . وكان منزله في الطبقة الخامسة

خطبة رئيس مجلس الشيوخ واولى هذه الخطب خطبة المسيو فالبير رئيس مجلس الشيوخ الفرنسوي ورئيس اللجنة التي جمعت المال لصنع هذا التمثال . ومعلوم ان لرئيس مجلس الشيوخ المقام الثاني في الحكومة اذ لا مقام فوقه غير مقام رئيس الجمهورية . فلما ازفت ساعة الاحتفال رُفع الستار عن التمثال فصفق الحاضرون تصفيقاً شديداً فانبرى رئيس مجلس الشيوخ وقال : انه عند تسليمه هذا التمثال الى مدينة باريز لا يتمالك من التأثر لذكرى حياة الرجل الذي شغل في الآداب والسياسة حيزاً عظيماً . ثم ذكر جول سيمون فقال انه كان معلماً في مدرسة المعلمين وهو بسن الطلبة . ثم ترقى حتى صار ينوب مناب فيكتور كوزين في تدريس الفلسفة بالسوربون . وهو اعظم منصب فيها . فاجتذب اليه السامعين من كل صوب بفصاحته وسمو فكره وحسن اخلاقه وشرف معيشته . وهكذا حقق قول رموزا « ان الفضيلة مستقلة عن الثروة وما برحت الآداب ثابتة في الارض لا تتغير مع كثرة التقلبات والتغيرات » وقد قال الخطيب ذلك لان جول سيمون كان فقيراً

ثم قال : ومنذ ذلك الحين اخذ عقله يتملص من قيود الحواس وفلسفته صارت تبرز شيئاً فشيئاً . ومآلها الاعتقاد بخلود النفس وان هذا الخلود شاهد بوجود الله . وبما انه كان متعوداً الصعود الى ينابيع المتقدمين للاستقاء منها فقد اخذ يعلم مع افلاطون (ان الفلسفة هي علم الناس الاحرار) وينادي ان الحق والعدل اذا لم يُقرنا بالحرية اصبحا هدفاً للقوة

ولم تكن هذه الاقوال عبثاً فان ذلك الخطر كان قريباً من البلاد . فان لويس نابوليون رئيس الجمهورية رام قلبها في سنة ١٨٥١ فاقترح على الشعب اقتراحاً عاماً « هل يريد اعادة الامبراطورية » فبلغ يومئذ الاضطراب معظمه . فوقف جول سيمون ليلة الاقتراح في منبر قاعة السوربون ونادى باعلى صوته « ايها السادة . انا هنا معلم للآداب . ولكنني اليوم مدين لكم بمثال لا بامثولة . فقد خان الحق جهراً من عُهد اليه ان يصونه . وستنطق فرنسا غداً بالحكم فنرى هل ترضى عن الخيانة ام تنكرها . اما انا فاقول منذ الآن انه اذا لم يكن في صناديق الاقتراع غير ورقة واحدة تنكرها فتلك الورقة تكون مني »

فلما سمع الحاضرون هذا الكلام صفقوا تصفيقاً ما بعده تصفيق فقال لهم جول سيمون حينئذ برزانة وجد (لقد اعتبرت تصفيقكم هذا كقسم وعهد منكم . فاذا وافقتم الخائنين بعد

الآن طمعاً في الربح فانكم تحنثون بيمينكم

فاشتد التأثر حينئذ حتى ضاقت به الصدور فامتدت جميع الايدي نحو الخطيب وصاروا يهتفون له ولم يتملص من الشعب الذي كان يطلب حمله في الشارع الا بتعب شديد

ومنذ هذا الحين فصل جول سيمون عن السوربون و بذلك وقع في مصاعب الحياة واخذ يشتغل بالسياسة جاعلاً همه تنبيه الرأي العام الذي كان قد اصابه الشلل . ولكن الديموقراطية لم تحنج قط الى رؤساء ومدربين اذ حالما احتاجت اليهم وجدتهم . وما نراه في ايامنا قد كان مثله في تلك الايام التي طمست فيها الاضطرابات مبادىء العدل والحقيقة . ولذلك تنفس الناس الصعداء لما ابرز جول سيمون كتابه « الواجب » ليذكر مواطنيه بواجباتهم . وقد كان هذا الكتاب الجميل ضرورياً يومئذ للنفوس التي اخذت تضعف لانه اعطاها الامل والثقة في المستقبل

وبعد مدة ظهر كتابه « الدين المطلق » وهو عبارة عن انجيل نفس تملّصت من حرفية القواعد واخذت تعترف باعتقاداتها في قرن ساد فيه ترك الاعتقاد .

ثم صدر كتابه (حرية الضمير) وآخر عنوانه (حرية الفكر) وآخر عنوانه (الحرية المدنية) وكلها اجزاء كتاب واحد كان غرضه تدريب الديموقراطية وارشادها . فلم يعد جول سيمون يخاطب بني وطنه في هذه الكتب بلسان الفيلسوف بل بلسان السياسي الذي يدرس حاجات قومه . فدرس اصل حقوق الامم واثبت هذه الحقوق ورد على سفسطائيات التعاليم التي كانت تتجدد منذ الثورة وتعيقنا في مسيرنا . وعيّن مقدار الحقوق التي يجوز لهم (للاشتراكيين) المطالبة بها وسطر بروغراماً كبيراً انجزنا بعضه الى الآن

ثم دخل جول سيمون الى المعامل والمناجم لاصلاح احوال العملة . فدرس هذه الاحوال بنفسه . وشاهد فيها الاب والام يهجران منزلهما للعمل في المعمل والولد يُقرن بالآلة العاملة وعمره ٨ سنوات فسماه ,, العامل في السنة الثامنة ,, . وبعد الدرس الدقيق اخذ يصيح ,, ان داءنا داء ادبي قبل كل شيء . فيجب مداواة النفوس وشفاؤها . يجب ان نتغلب على الحانات والخمارات . يجب اصلاح المعيشة العائلية التي هي وحدها مدرسة الحرية والشجاعة الادبية . يجب اتخاذ كل الوسائل التي تسمح بها الحرية لاعادة الاب والام الى المنزل ,, وما عدا هذا يجب فتح ابواب المدارس لتعليم الامة تعليماً عمومياً وازالة كل الموانع من هذا السبيل — وفي صفحات بليغة لم ينقص الزمن شيئاً من اهميتها اخذ يدعو الى الاصلاح والتضامن البشري دعوة ادخلت هذه الروح من ذلك الحين في نظاماتنا واحوالنا . وبما

اننا اليوم نسير نحو الارتقاء لنصل الى انسانية افضل فمن العدل ان نكرم جول سيمون لانه كان في زمنه احد الدعاة الى قسم من هذه الاصلاحات

ولقد كان في منتصف عمله لما دخل في مجلس النواب . فصارت الحكومة تخشى بطشه وطارت شهرته كخطيب كبير . وان من لم يرَ جول سيمون في منبر الخطابة ولم يسمع كلامه لا يقدر ان يعرف مقدار تأثير الكلام في النفوس وسحره لها . فكل شيء في كلامه ونظره ولهجته كان لطفاً وقوة . وقد كان عند اشتداد اللجاج ينتظر سكوت سامعيه لعلمه انهم لا يضنون بالسكوت على واحد مثله . وكان يرتجل خطبته ارتجالاً ولكن ليس ارتجاله عبارة عن ترك كلامه للصدفة والاتفاق بل كان يرتجل وفقاً لقاعدة الارتجال وهي (ان الارتجال معرفة الخطيب ماذا يريد ان يقول دون ان يعرف باية عبارة يقوله ،، وقد كانت براهينه وادلته آخذة بعضها برقاب بعض . واذا ورد في اثنائها نادرة او ملحة فلا تظن انها وردت عبثاً بل انها وردت لتقوية الدليل واستخراج النتيجة . وقد كان يسدّد سهام التهكم في خطابه ولكنه كان تهكماً خفيفاً اذ يجعل الخصم يشعر بوخزه دون ان يجرحه به . وكان يمازج كلامه التأثر واحياناً رفع ،، الكلفة ،، وكانت لغته بسيطة انيقة جميلة . وكان لها لين الفولاذ وقوته . واحياناً كان لها شرره وذلك لما يرتفع فكره ويضرب به تلك الضربات التي تُنيل النصر والظفر

ثم استطرد المسيو فالبير الى ذكر جول سيمون كسياسي وجمهوري ووطني نزيه وقف حياته للنزاهة وخدمة الخير والحرية والواجب . فقال ان كل الناس يذكرون جهاده في مقاومة السياسة الامبراطورية في انحاء فرنسا كلها . فقد كان اسمه يومئذ في كل الافواه وكتاباته يقرؤها الناس في جهات فرنسا الاربع وخطبه كانت تُنتظر بفروغ صبر وتُشرح بشدة وحدة . فكان فكره يحرك جميع الضمائر والافكار التي كانت تجنح الى الاصلاح . وكان ذلك الفكر يبقي في نفوس الناشئة اثراً لا يفنى يحثهم على المقاومة ويرشدهم الى الغاية . ثم لما جاءت اهوال سنة ٧٠ صار اكبر مساعدي المسيو تيرس اذ عهدت اليه وزارة المعارف واعطي القوس باريها . فرام ادخال الزامية التعليم في فرنسا ومجانيته فلم تطاوعه الاحزاب القديمة . ثم كانت رئاسة المرشال مكماهون للجمهورية . فعهد الى جول سيمون رئاسة الوزراء ارضاء للاحزاب الجمهورية لانه كان اكثرهم اعتدالاً . فرضي جول سيمون بهذا المنصب لعله يمنع حدوث الزوبعة . ولكنه اضطرّ بعد ذلك للاستقالة فخرج من رئاسة الوزراء ابيّ النفس شامخ الرأس ولكنه خرج ساكتاً لان السكوت في مقام كذلك المقام خير من الكلام

قال المسيو فالبير : ومنذ هذا الحين انتهت اعمال جول سيمون الوزارية . ولكن حياته العمومية اضطربت بعد ذلك بحادثة تعرف عندهم بالمادة السابعة . فان الحزب الجمهوري يومئذ رام امرين (الاول) جعل المدارس الابتدائية مستقلة عن الدين وهو ما يسمونه (جعلها على الحيادة) بين جميع المذاهب (والثاني) عدم الاذن للرهبانيات بالتعليم . فانفصل يومئذ جول سيمون عن حزبه الجمهوري الذي خدمه كل عمره وصار يقاومه في هاتين المسألتين . فطلب ان يُكتب بالدستور وجوب تعليم الطلبة ما يجب عليهم لله ونادى بحرية التعليم بلا شرط سوى كفاءة المعلم وأدبه . وقد فاز على حزبه الجمهوري كله فحقد عليه هذا الحزب واعتبره خائناً له . ولكن لم يلبث ان حصل ردّ فعل لهذا النفور . فان الجنرال بولانجه قام يتهدّد الجمهورية فبادر جول سيمون واشرع قلمه ضده فكان ينشر في كل يوم مقالةً فابعد بذلك عن الجنرال كثيرين ممن كانوا نووا الانتصار له . وكانت مقالات الفيلسوف تترجم عن عواطف الحزب الجمهوري احسن ترجمة . فعادوا اليه بعد ذلك النفور الذي جرّه عليه انتصاره للحرية المطلقة وفقاً لمبادئه التي شب وشاب عليها

وقد ختم المسيو فالبير خطبته الشائقة بهذه الخاتمة :

لقد كان جول سيمون احد مؤسسي الجمهورية الثالثة البواسل وداعياً من اشد الدعاة الى التضامن الاجتماعي . ولقد اعانه في شيخوخته التي كان يشتغل فيها ايضاً لكسب الرزق الخيرُ الذي كان يصنعه حوله بلا حساب . هذا ما عدا عناية اهله . فكان يساعد المشروعات الخيرية ويهبها مع وقته ثمرة خبرته وحكمة نصائحه . وكان وهو فوق الثمانين من العمر يجد في كلامه قوة الشباب لمهاجمة الشر ونبش دفائنه وردّ غاراته او اصلاح تخريبه . فكم من مرّة نادى بالالتفات الى ضعفاء الارض كالعملة الذين بلا عمل والمرضى بلا عناية والعجزة بلا مساعدة والاولاد المهجورين الذين هم كلهم ضحية التعاسة او الفساد او سوء التدبير . وقد كانت تلك العناية منه شرفاً لحياته وستكون مجداً له عند الاجيال الآتية

هذه خلاصة خطبة المسيو فالبير . وقد لخصناها كلها لانها عبارة عن ترجمة الفقيد . وقد نشر في العام الماضي نجلا الفقيد كتابين في ترجمة حياته اكثرهما كتب بخط يده وفيهما من الملح والنوادر والعبر ما يلذ ويفيد . فربما لخصناها في مقالة تالية

جول سيمون والجامعة ولقد جاء علينا زمن كنا فيه اذا فتحنا كتاباً من كتب جول سيمون « كالواجب » او « المرأة في القرن العشرين » او « المدرسة » او « العاملة » او « الحرية السياسية » وغيرها فاننا كنا نفتحه باختزام يحكي احترام رجال الدين

حين دنوهم من المحراب . ولقد نقلنا منذ بضع سنوات كتابه « المرأة في القرن العشرين » الى اللغة العربية وكتبنا الى الفيلسوف الكريم نستاذنه في نشره . فوصله كتابنا قبل وفاته وهو بين ايدي الجراحين لاصابة عينيه بالكاتركت (الماء الزرقاء) . فاجاب عليه بما خلاصته « لقد عرضت كتابكم على ابني (١) ونحن مسرورون لنقلكم « المرأة في القرن العشرين » الى اللغة العربية . ولقد ترجمت حتى الآن الى اللغة الروسية والاسوجية . وقد كنتم في غنى عن طلب الاذن بنشرها . ولم اشاء ان ابطىء في ابلاغكم ذلك وان كنت الآن بين ايدي الجراحين لعملية الكاتركت الخ . . . » وفي الحقيقة ان الجواب لم يبطىء الا بمقدار سفر الباخرة وعودتها — ولا يزال كتابه عندنا نحفظه كما نحفظ شيئاً مقدساً

عود الى المقدمة هذا هو الرجل الذي ننصبه مثالاً للشرق بعد ان كان مثالاً للغرب . وخلاصة ترجمته معيشة طاهرة نقية لم يدنسها شيء حتى ولا نقائص الشباب . وجد بالغ حده رفع صاحبه من قرية سان جان بر يفيلاي حيث كان فلاحاً صغيراً الى قمة رئاسة الوزراء وذروة العلم والفلسفة والشهرة . وشهامة ونزاهة تامة حببتا اليه الفقر مع العدالة والنزاهة والواجب على الغنى والجاه من طريق لا يرضى عنه الضمير والذمة . وسعي مجيد في خدمة الطبقات الضعيفة من الامة ومقاومة طبقاتها القوية حينما كانت تروم الاستئثار بالمنافع والخيرات دونها

فبارك الله في الامم التي يظهر فيها رجال كهذا الرجل . ويا لشقاء الامم التي لا تفهم هذه المبادىء السامية بل تصرف نفوس ابنائها وعقولهم قبل كل شيء الى مستنقعات الارض لالتقاط اشيائها المادية . ذاهلين عن ان تلك المبادىء الادبية — بين تقلبات الحياة ومعاركها المختلفة — هي وحدها الانسانية الحقيقية وان الحياة بدونها لا قيمة لها الا بمقدار قيمة الحياة الحيوانية

« ١ » الدكتور غوستاف سيمون مؤلف القسم الطبي الصحي من كتاب المرأة في القرن العشرين